لا يجد الا قدر موضع قدميه فكيف يكون حال هولاء في عرقهم مع تنوعهم فيه
ان هذا لمما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة ويقتضي الايمان بامور الاخرة
وان ليس للعقل فيه مجال ولا يعترض على ذلك بعقل ولا قياس ولا عادة
وانما يوخذ بالقبول • فتامل رحمك الله شدة هذا الازدحام والانضمام •
والاتساق والالتصاق واجتماع الانس والجان • ومن يجمع معهم من سائر
اصناف الحيوان وانضغاطهم وتدافعهم واختلاطهم وقرب الشمس منهم
وما تزداد في حرها ويضاعف في وهجها ولا ظل الا ظل عرش ربك كما قدمته
مع ما انضاف الى ذلك من حر الانفاس لتزاحم الناس • واحتراق القلوب
لما غشيها من الكروب • ولا ريب ان هذا موجب لحصول العطش في ذلك اليوم
وكثرة الالتهاب والماء اعز موجود واعظم مفقود • فلا منهل مورود
الا حوض صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا ولا مشروب
لا يقاربه سواه ولا تبرد اكبادهم الا به فالشربة منه كما ورد تروي الظما كما ورد
وتشفي من الضنا وتذهب من كل داء • فلا يظما شاربها ولا يسقم بعدها ابدا
وفي حديث انس عند البزار من شرب منه اي من الحوض شربة لم يظما ابدا ومن لم يشرب
منه لم يرو ابدا وزاد في حديث ابي امامة عند احمد وابن حبان ولم يسود وجهه
ابدا • وفي حديث ثوبان عند الترمذي وصححه الحاكم اكثر الناس عليه ورودا فقرا
المهاجرين وفي حديث عبد الله ابن عمرو بن العاصي عند الشيخين حوضي مسيرة شهر
ماوه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السما من شرب منه
لا يظما ابدا قال القرطبي في التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره الى ان الحوض
يكون بعد الصراط وذهب اخرون الى العكس والصحيح ان للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين
احدهما في الموقف قبل الصراط والاخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرا وتعقبه
شيخ الاسلام والحافظ ابن حجر بان الكوثر نهر داخل الجنة وماوه يصب في الحوض
ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه • فغاية ما يوخذ من كلام القرطبي ان الحوض يكون
قبل الصراط لان الناس يردون الموقف عطاشا فيرد المومنون الحوض ويتساقط
الكفار في النار بعد ان يقولوا ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كانها سراب
فيقال الا تردون فيظنونها ما فيتساقطون فيها وفي حديث ابي ذر عند مسلم ان الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة وهو حجة على القرطبي لا له لان الصراط
جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة والمومنون يمرون عليه لدخول الجنة • فلو كان

الحوض

١٦٣

الحوض دونه لحالت النار بين الما الذي يصب من الكوثر في الحوض الذي زمن داخلها
وقال القاضي عياض الى وظاهر الحديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الما
من النهر الذي داخلها وقال القاضي عياض ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم من شرب منه
شربة لم يظما بعدها ابدا يدل على ان الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة
من النار • لان ظاهر حال من لا يظما ان لا يعذب بالنار • ولكن يحتمل ان من قدر
عليه التعذيب منهم ان لا يعذب فيها بالظما بل بغيره وعن انس قال سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيامة فقال انا فاعل ان شا الله قلت فاين
اطلبك قال اول ما تطلبني على الصراط قلت فان لم القك على الصراط قال فاطلبني
عند الميزان قلت فان لم القك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لا اخطي هذه
الثلاثة مواطن رواه الترمذي وقال حسن غريب • وفي حديث ابن مسعود عند
احمد ثم اوتي بكسوتي فالبسها فاقوم عن يمين العرش مقاما لا يقومه احد فيغبطني به
الاولون والاخرون قال ويفتح لهم من الكوثر الى الحوض وقد بين في حديث عمرو
ابن العاصي عند البخاري انه مسيرة شهر وزاد في رواية مسلم من هذا الوجه وزواياه
سوا وهذه الزيادة كما قاله في فتح الباري تدفع تاويل من جمع بين مختلف الاحاديث
في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول • وفي حديث ابي سعيد
عند ابن ماجة رفعه ان لي حوضا ما بين الكعبة وبيت المقدس • وفي حديث ابي
برزة عند الطبراني وابن حبان في صحيحه ما بين ناحيتي حوضي كما بين ايلة وصنعا
مسيرة شهر عرضه كطوله • وفي حديث انس عند الشيخين كما بين صنعا والمدينة
وفي حديث عتبة بن عبد السلمي عند ابن حبان في صحيحه ما بين صنعا الى بصرى
وفي حديث ابي امامة عند الطبراني ما بين عدن وعمان قال ابن الاثير في النهاية
في حديث الحوض عرضه من مقامي الى عمان هي بفتح العين وتشديد الميم مدينة
قديمة بالشام من ارض البلقا فاما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين انتهى
وهذه المسافة كلها متقاربة • وظن بعضهم انه وقع اضطراب في ذلك وليس
كذلك واجاب النووي عن ذلك بانه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع
المسافة الكثيرة فالاكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة وحاصله يشير الى
انه اخبر اولا بالمسافة اليسيرة ثم اعلم بالمسافة الطويلة فاخبر بها كان الله
تفضل عليه باتساعه شيئا بعد شي فيكون الاعتماد على ما يدل على اطولها مسافة
فان قلت هل لكل نبي من الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم حوض هناك يقوم
عليه كنبينا فالجواب انه اشتهر اختصاص نبينا عليه الصلاة والسلام

Copyright © King Saud University